المجلة العلمية للعلوم التربوية والصحة النفسية
ISSN: 2682-2865
The Online ISSN : 2682-4248
المجلد05/العـدد: 02 (يونيو2023)، ص ص 237-264

قراءة تحليلية لدور الأختبارات الإسقاطية في تشخيص واقع الاضطرابات الجنسية لدى الأطفال "رائز خروف القدم السوداء نموذجا" مقاربة سيكوديناميةThe Role of Projective Tests in Diagnosing the Reality of Sexual Disorders in Children.

"The Projective Test of the Black-footed sheep's as a Model" Psychodynamic approach

مفيدة شوابي [1]، حميدة بوتفنوشات [2]
[1]جامعة باجي مختار عنابة.الجزائر Email : Chouabimouf12@gmail.com
[2]جامعة ٨ماي ١٩٤٥، قالمة، الجزائر، Email : Hamida.lif@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/04/21 تاريخ القبول: 2023/05/15 تاريخ النشر: 2023/06/05
Doi: 10.21608/GFSC.2023.302107

مستخلص البحث:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة دور الاختبارات الاسقاطية في تشخيص واقع الاضطرابات الجنسية لدى الأطفال،حيث أن هذه الاضطرابات لطالما اتسمت بالغموض نظرا لصعوبة البوح بها، وهذا ما قد يعقد رصد أعراضها لاحقا، و يزداد هذا التعقيد تبعا لمتغير السن خاصة في مرحلة الطفولة، فالطفل قد يعاني من افتقار اللغة للتعبير عن مشاكله.ولهذا فالاختبارات الاسقاطية تسمح بالغور في أعماق الحياة اللاشعورية لطبيعة مادتها الغامضة والمبهمة، كما تمكّن الطفل من التعبير عن واقعه الداخلي بطريقة غير مباشرة و بمثيرات بعيدة تماما عن واقعه الأصلي. ومن بين أهم الاختبارات الاسقاطية المعمول بها في الميدان العيادي و التي تعمل على تشخيص العديد من الاضطرابات النفسية و المعاناة التي يمر بها الطفل، نجد رائز خروف القدم السوداء والذي تدور حوله هذه الدراسة حيث نستطيع من خلال بعض بطاقاته الكشف عن بعض الاضطرابات الجنسية التي يصعب إدراكها حسيا والتعبير عنها لفظيا والتي تصعب الأساليب الأخرى كالمقابلة العيادية والمقاييس النفسية في الكشف عنها.ولتحقيق هدف الدراسة تم الاعتماد

المؤلف المرسل: مفيدة شوابي، Email : Chouabimouf12@gmail.com

علي المقاربة السيكودينامية كسند نظري لتحليل واقع الاضطرابات الجنسية لدى الأطفال من خلال السياق التقمصي الذي يتحدد عن طريق فك عقدة أوديب وأن أي فشل في تلك السيرورات النفسية قد يؤدي إلى ظهور مشاكل جنسية لاحقا.
الكلمات المفتاحية:ا لاختبارات الاسقاطية؛ الاضطرابات الجنسية؛ رائز خروف القدم السوداء

Abstract:

This paper aims to study the role of projective tests in diagnosingthe reality of sexual disorders in children, as these disorders have always been characterized by ambiguity, due to the difficulty of revealing them, and this may complicate the monitoring of their symptoms later, and this complexity increases according to the variable of age, especially in childhood, as the child may suffer because of the lack of language to express his problems. Therefore, the projective tests allow delving into the depths of the unconscious life due to the nature of its vague material, as well as enabling the child to express his inner reality in an indirect way and with stimuli that are completely far from his original reality. Among the most important projective tests applied in the clinical field, which works to diagnose many psychological disorders and the suffering that the child goes through, we find the black-footed sheep's test, which this study revolves around, as we can, through some of its cards, detect some sexual disorders that are difficult to perceive sensory and express verbaly, which is difficult for other methods such as the clinical interview and the psychological scales to detect.To achieve the aim of study the psychodynamic approach was relied upon as theoretical basis for analyzing the reality of sexual disorders in children through the Oedipus compkex , and that any failure in these psychological processes may lead to the emergence of sexual problems later.
Keywords: projective tests; sexual disorders; black-footed sheep's test.

يمثل الجنس دورا رئيسيا في السلوك الإنساني وفق منظور السيكودينامي - المدرسة التحليلية - ، فالإحساس الجنسي أصيل وعميق في الكيان البشري، وهو طاقة من أكثر الطاقات الموجهة لمشاعر الناس وسلوكهم.وقد طرأت في عصرنا الحالي عدة تغيرات أدّت إلى اختلال في النظم السائدة في المجتمعات المختلفة وعلى جميع الأصعدة ونخص بالذكر الاضطرابات الجنسية التي تعد واحدة من أهم مشكلات الحياة التي تصادف الفرد منذ طفولته، فقد تؤثر في شخصية الفرد ولاسيما الأطفال حيث تعتبر الطفولة مرحلة مهمة فهي بمثابة حجر الأساس لبناء الشخصية فيمر الفرد منذ ولادته بفترات تحتل كل منها أهميتها في تشكيل شخصيته بدءا من الطفولة المبكرة التي يتطلع من خلالها إلى العالم الجديد ويستقي منه معلوماته الأولى واتصالاته من خلال تعلم اللغة في تشكيل الذات وبناءه النفسي، فلا يصل الطفل إلى الإحساس بالهوية الجنسية إلا بدخوله نظام اللغة الرمزي والإستدخال المتدرج للتفاعلات بينه و بين محيطه بكل الشحنات الوجدانية والعاطفية التي تتضمنها ثم ينتقل إلى تحديد هويته وحدود الشخصية، وقد يعيش صراعا حادا مع ما صنعه عالمه الخارجي من ممنوعات

حيث أن الصحة النفسية تتوقف عموما على علاقات الطفل بمواضيعه الأولية ومدى تقمصه للوالد من نفس الجنس، بحيث أن تكيفه مع واقعه الداخلي والاجتماعي لاحقا لا يكون إلا إذا كان مؤهلا نفسيا لذلك بمعنى أن توازن الأنا أمرا ضروريا فنوعية التقمصات في المراحل الأولى من حياته تحدد مدى تكيف الطفل أو عدم تكيفه مع واقعه الداخلي والخارجي الموضوعي لاحقا. فعن طريق التقمص الجنسي يشكل الطفل مفهوما عن ذاته ذكرا كان أم أنثى، ويميل الطفل إلى تقمص الوالد من نفس الجنس بسبب الفوارق الواضحة بين الجنسين ،وفي هذا الصدد فقد وجد (Laynne1974)أن الأولاد الذين فصلوا عن آبائهم لمدة طويلة من الزمن كانت خصائص الذكورة لديهم أقل وضوحا من الأولاد ذوي الأب الحاضر، وهنا تجدر الإشارة إلى توحد الطفل مع الأم وكراهيته للأب الذي لا يمثل الرعاية أو الحماية له مما يجعله لا يتجاوز الموقف الأوديبي وقد يمثل هذا بذرة المرض النفسي واضطراب في الهوية الجنسية لأن

زوال الأوديب يتم بتخلي الطفل تدريجيا عن الرغبات اللبيدية والعدوانية تجاه مواضيع الحب المستثمرة إذ تحل هذه العقدة باختفاء تصورات المحارم وكبتها فيتقمص الطفل الوالد من نفس الجنس(Bergeret1982).

وفي هذا الصدد تهدف هذه الورقة البحثية إلى إظهار إمكانية فحص واقع الاضطرابات الجنسية استنادا إلى منظور التحليل النفسي والاختبارات الاسقاطية لا سيما رائز خروف القدم السوداء وذلك من خلال استخراج الدلائل والمؤشرات العيادية الخاصة بالاضطرابات الجنسية والمتمثلة أساسا في التوظيف النفسي والدينامية النفسية للطفل من خلال زوال الأوديب من عدمه والسياقات التقمصية إلى جانب الميكانزمات الدفاعية المستخدمة ودينامية العلاقة مع المواضيع الأولية.

وعليه ستحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على دور اختبار خروف القدم السوداء من خلال بعض لوحاته في الكشف عن الاضطرابات الجنسية لدى الأطفال .

٢. مشكلة الدراسة :

لقد ظن الباحثون ولفترة غير قصيرة أن الاضطرابات الجنسية هي حكرا على البالغين فقط و أنه من غير الممكن أن تصيب الطفل ولهذا فتشخيصها أمرا صعبا قد يصعب إيجاد أدوات تسمح بمعرفة معاناة الطفل في ظل وجود صعوبة التواصل معه نظرا لخصوصية الموضوع، ولذلك كان لابد من مدخل آخر لإقامة الحوار وتحقيق التواصل من خلال لغة بديلة يفصح من خلالها الطفل بأسمى التعبيرات البلاغية التي تنبع من أعماقه ومشاعره ألا وهي الاختبارات الاسقاطية والتي في علم النفس الإكلينيكي تساهم كثيرا في عملية الفحص والتشخيص النفسي خاصة فئة الأطفال منهم، فهي تسمح بالكشف عن الصراعات النفسية للطفل، وتبرز أنواع وطبيعة الدفاعات المستعملة من قبله، توضح الخطابات الشعورية واللاشعورية، كما تبين علاقة الطفل مع كل المحيطين به، إضافة كونها تستطيع النكوص إلى المراحل الأولى من النمو النفسي وبين العلاقة مع الموضوع.

لهذا ركزت الدراسة الحالية على اختبار إسقاطي "رائز خروف القدم السوداء"، والذي تدور حوله هذه الدراسة كونه يسمح بتوظيفه في جميع حالات

الفحص والتشخيص النفسي نظرا لبساطة وسهولة وسرعة تطبيقه ولقلة الأدوات المستخدمة لهذا الغرض والذي يمكن الأخصائيون العياديون من الحصول على قسط كبير من المعلومات التي تتعلق بوجود مشاكل جنسية لدى الطفل.

ونظرا لوجود العديد من الأسئلة المستقاة من واقع تزايد نسبة الانحرافات و الجرائم الجنسية المعلن عنها من قبل وسائل الإعلام و بعض الأخصائيين الممارسين في الميدان حيث يعتبر هذا موضوعا طابو ممنوعا من الخوض فيه وهذا ما يجعل معارف الأطفال تصطدم بجدار الصمت ولا يكتشف المعالج ما يريد اكتشافه إلا بعد فوات الأوان مما قد يجعل انتشار الكثير من الانحرافات ذات الطابع الجنسي بين فئات الأطفال كما أنه يعتبر من المواضيع صعبة البحث فيها نظرا لعدم وجود معطيات وإحصائيات رسمية تحدد حجم هذه الظاهرة بالإضافة إلى نقص الدراسات التي تناولت هذا الموضوع وهذا ما اقتضت إليه الضرورة العلمية لمحاولة فهم أعمق والبحث في الأسباب الكامنة وراءها وسبل إيجاد اختبارات نفسية تسمح بالغوص لعالم الطفل الداخلي فلا يدرك طريقة تقدير استجاباته وبذلك يستطيع التعبير عن شخصيته بسهولة والتعرف على مشاكله الجنسية دون أن ينتبه لذلك وعليه فقد أثار فضول الباحثتان العلمي للتركيز على الاختبار الاسقاطي والمعروف برائز خروف القدم السوداء ويأملان أن يفيدهما في هذه الدراسة .

ومنه يمكن تحديد مشكلة الدراسة الحالية في محاولة للإجابة على السؤال التالي،

هل يسمح اختبار خروف القدم السوداء في الكشف عن واقع الاضطرابات الجنسية لدى الأطفال؟

٣.أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

- التعرف على مؤشرات الاضطرابات الجنسية لدى الأطفال من خلال سياقات التقمص والمواقف الأوديبية التي تظهر في الإنتاج الاسقاطي لرائز خروف القدم السوداء.
- إبراز دور بعض لوحات رائز خروف القدم السوداء في الكشف عن

الاضطرابات الجنسية لدى الأطفال .

٤.أهمية الدراسة:

نقدم في هذه الورقة البحثية أهمية نظرية و أخرى تطبيقية

١.٤ الأهمية النظرية :

- للدراسة المقترحة أهمية خاصة تستمدها من أهمية موضوعها حيث قد تعتبر الاضطرابات الجنسية خصوصا عند الأطفال ظاهرة جديدة نوعا ما على المجتمع الجزائري غير مبلغ عنها في كثير من الأحيان.
- كما تستمد الدراسة الحالية أهميتها من القيمة التشخيصية لاختبار رائز خروف القدم السوداء في الكشف عن الاضطرابات الجنسية لدى الأطفال مما يساعد الإكليكنيون والقائمين على تربية الطفل من التشخيص الفعال.
- تعود أهمية الدراسة الحالية إلى ندرة الدراسات السابقة في مجال التشخيص بالاستعانة بهذا الاختبار في البلدان العربية ولا سيما البيئة المحلية على حد علمنا.
- ترجع أهمية الدراسة الحالية إلى خصوصية المرحلة التي تناولتها وهي مرحلة الطفولة وما ينتج في هذه المرحلة من اضطرابات سلوكية وانفعالية وأزمات نفسية.
- توفير معلومات عن موضوع قلة الدراسات فيه وتأخر طرحه في البيئة المحلية لما تحاط به من سرية وكتمان وشعور أفراد الأسرة بالخجل والخزي من وجود طفل لديه مشاكل جنسية وحان الوقت للوقوف أمام هذه المشكلة بطريقة علمية جادة

٢.٤ الأهمية التطبيقية :

- قد تسمح هذه الدراسة ببناء برامج وقائية وأساليب إرشادية فعالة للتصدي لمثل هذه المشاكل الجنسية والتي قد تترتب عنها مشاكل أخرى كالانحرافات الجنسية لاحقا والتي قد لا يمكن السيطرة عليها والحد من تفاقمها.
- تقدم اللوحات التي تخص الاضطرابات الجنسية دليلا عمليا للأخصائيين

النفسانيين يرشدهم لكيفية الاستفادة من هذا الاختبار القائم على كشف وتشخيص الاضطرابات وتطبيقه عمليا.

- مساعدة أولية في التشخيص المبكر لوضع خطة وقائية وعلاجية مناسبة والتكفل النفسي الأفضل لفئة الأطفال المضطربين جنسيا.
- تكون هذه الدراسة قاعدة علمية بحثية للانطلاق منها إلى بحوث قادمة للتكامل مع استخدام باقي لوحات اختبار رائز خروف القدم السوداء للكشف عن باقي الاضطرابات النفسية والسلوكية الأخرى

٥.أسباب اختيار الموضوع من منظور سيكودينامي:

قد تناولت الباحثتان باسهاب نظرية التحليل النفسي لعدة أسباب :

- **السبب الأول**: أنها النظرية النفسية التي تناولت الجنس باستفاضة.
- **السبب الثاني**: أنها النظرية الأكثر شهرة حتى لدى غير المتخصصين في علم النفس

والتي تناولت الجنس والحياة الجنسية وتطور هذه الحياة بداية بالطفل، ناهيك على أن فرويد لم يخلو أي مؤلف من مؤلفاته من الإشارة إلى هذا الجانب المهم من الجوانب الإنسانية ألا وهو الجنس، بل أفرد كتاب له بعنوان: ثلاث مقالات في النظرية الجنسية، نشر عام ١٩٠٥ فقد أشار إشارة مستمرة إلى الجنس وتأثيره في معظم كتاباته إن لم يكن كلها تقريبا.

- **السبب الثالث**: فيكمن في آلية الإسقاط كعملية نفسية ودلالاته السيكولوجية والذي نجده في بعض الوسائل التي تستخدم لدراسة الشخصية بشكل غير مباشر كالاختبارات الاسقاطية، ففي نظرية التحليل النفسي تأخذ مبادئ آليات الدفاع والعمليات اللاشعورية موقعا هاما فيها فهي موظفة بقوة في تفسير الاستجابة في الاختبارات الاسقاطية خصوصا المخصصة لفئة الأطفال في ظل افتقار هؤلاء للغة التي تسمح لهم بالتعبير عن معاناتهم و مشكلاتهم النفسية وعدم تمكنهم من التنفيس الانفعالي الذي تسمح لهم بالتخفيف من شدة القلق والصراعات النفسية التي يعيشونها

٦. الدراسات السابقة:

أما فيما يخص"الدراسات السابقة "فإننا لو بحثنا في المكتبات العربية والمحلية عن دراسة الاضطرابات الجنسية عند الأطفال وتشخيصها من خلال اختبار رائز خروف القدم السوداء لوجدناها أنها تفتقر لمثل هذه الدراسة على حد علمنا والتي تبرز دور اختبار خروف القدم السوداء في الكشف عن اضطرابات الطفل الجنسية فلا نجد سوى دراسات تناولت مواضيع تحت عناوين مختلفة فنجد على سبيل المثال لا الحصر: اضطراب الهوية الجنسية، التنميط الجنسي، اضطراب الهوية الجندرية وغيرها، ولكن الملفت للانتباه أنها لم تستخدم اختبار رائز خروف القدم السوداء للكشف عن مثل هذه الاضطرابات، ولو أنه هناك دراسات تناولت هذا الاختبار ولكن لتشخبص اضطرابات ومشاكل أخرى لذا فإن الدراسة جديدة من نوعها على حد علمنا فهي متخصصة في أداة من أدوات التشخيص والفحص النفسي عن طريق الاختبارات الاسقاطية المخصصة لفئة أطفال وحتى المراهقين لذا ربما تضفي على المكتبات العربية ولا سيما المحلية إطلالة جديدة من نوعها مختلفة عن الدراسات السابقة.

كما انطلقت الباحثتان من منظور المدرسة السيكودينامية كسند نظري لهذه الدراسة بدءا بنظرية سيغموند فرويد من خلال ثلاث مقالات في النظرية الجنسية إلى ما وراء فرويد حيث سنتناول المفاهيم اللاكانية بعرض فكرته في النمو النفسي ودراسة التغيرات المشكلة في النظام والبنية والتي تحكم العلاقات، وصولا إلى ديديه أنزيو ونظريته حول الأنا الجلدي فحسبه الشرط الأساسي للإحساس بالهوية الجنسية هو الجسد الحامل الأساسي لها فيما يخدم موضوع الدراسة ويعطيها الطابع العيادي والنفسي.

٦. مصطلحات الدراسة:

١.٦ الاختبارات الاسقاطية :

ويعرف غنيم (١٩٧٥)الاختبارات الاسقاطية على أنها وسيلة غير مباشرة للكشف عن شخصية الفرد، ولمادة الاختبار من الخصائص ما يجعلها مناسبة لأن يسقط عليها الفرد حاجاته ودوافعه ورغباته وتفسيراته الخاصة دون أن يفطن لما يقوم به من تفريغ وجداني.

تقوم الاختبارات الاسقاطية على فرضية مختلفة بشكل أساسي حيث سوف يسقط الفرد شخصيته إذا ما قدمت له مثيرات غامضة غير منظمة وفرصة غير مقيدة للاستجابة فيعطي الأخصائي العيادي فرصة للعميل والحرية في تكوين معنى لهذه المثيرات بأي طريقة يختارها هو، فلا يتم تقييده بخيارات نعم /خطأ أو الاختيار من متعدد، ويمكن مقارنة ردود العميل بتلك الموجودة في دليل الاختبار وفي النهاية يقوم الأخصائي العيادي بتكوين فروض حول شخصية العميل بناء على ردوده.(Pomerantz ,2018:306)

إذن يقصد **بالاختبارات الاسقاطية** الاختبارات النفسية التي تقوم على نظرية الإسقاط وبالتالي هي عبارة عن موقف مثير غامض مبهم ويطلب منه الاستجابة له، والطريقة التي يستجيب بها الفرد للمثير، ووسيلة مهمة جدا تسمح بالغور في أعماق الحياة اللاشعورية لطبيعة مادتها الغامضة والمبهمة فالأنا يعجز على مراقبة الحياة

الداخلية وضبطها مما يجعل الجانب اللاشعوري ينطلق في التعبير على هواماته بتنظيمات دفاعية مختلفة.

٢.٦الاضطرابات الجنسية:

- **معنى الاضطراب:**

يعرف الاضطراب في موسوعة علم النفس والتحليل النفسي وفي مجال علم النفس الإكلينيكي وكذلك في مجال علم الطب النفسي وهو يطلق على الاضطرابات التي تصيب الشخصية من ناحية التفكير أو الانفعال أو السلوك ويعني سوء توافق الفرد مع ذاته ومع الواقع الاجتماعي الذي يحي فيه ولهذا تتعدد أنواع الاضطرابات السلوكية.

فالاضطراب يعني خروج الفرد عن المألوف ونقصد به في هذا البحث تحديدا أن الفرد والطفل خصوصا ينحرف برغبته الجنسية ويسلك إزاء إشباع هذه الغريزة لاحقا أشكالا من الانحرافات غير المقبولة ثقافيا ودينيا وأخلاقيا في المجتمع الذي يعيش فيه.

- **معنى الجنس:**

الجنس في علم النفس وفي معجم العلوم الاجتماعية (١٩٧٥) لم تقدم الموسوعة تعريفا للجنس بقدر ما ركزت على إسهامات التحليل النفسي من خلال إلغاء الفكرة الشائعة أن الحياة الجنسية تبدأ عند البلوغ بل إن الجنس يبدأ مع البدايات الأولى للحياة فيما يعرف بالجنسية الطفلية حيث توصل علماء النفس وخاصة الاتجاه التحليلي إلى أن الجنسية الطفلية تتطور خلال الخمس سنوات الأولى من عمر الفرد (من المرحلة الفمية فالشرجية فالقضيبية)، وأن هناك علاقة بين العديد من الاضطرابات النفسية والعقلية وبعض مظاهر الكبت والانحراف الجنسي .

- فالجنس لفظ يطلق على كل من الذكر والأنثى للتمييز

- الجنس في مفهومه العام الجنسين (الذكر والأنثى) الذين خلقهما الله لتعمير الأرض بالتناسل عن طريق العلاقة الجنسية.

- أشتق مصطلح الجنس من اسم ايروس **Eros** إله الحب في الأساطير اليونانية وقد أدخله فرويد ليعبر به عن غريزة الحب في مقابل غريزة الموت.(غانم،٢٠٠٨: ٤٣-٤٤)

فالاضطرابات الجنسية هي مشكلات تتعلق بالجنس تشتمل على العديد من الممارسات فهناك مشكلات تجعل ممارسة الشخص للجنس غير طبيعية أو ناقصة أو مؤذية لنفسه أو غيره ، أو تؤدي به للانزعاج من جنسه الذي ولد به .

- **الاضطرابات الجنسية من منظور التحليل النفسي:**

هناك العديد من النظريات المتناولة لمفهوم الاضطرابات الجنسية والأشهر منها النظرية البيولوجية لكن العديد من العياديين من الدراسات ومنها هذه الدراسة تقرّ أنه لا يمكن التهاون بما يمكن أن تقدمه لنا نظرية التحليل النفسي في مجال فحص الاضطرابات الجنسية خاصة لدى الطفل وبالخصوص ما يعرف بالجنسية الطفلية في التناول التحليلي للتوظيف النفسي والدينامية النفسية.

لقد ميّز فرويد في مقال له بعنوان ثلاث مقالات في الجنس (١٩٠٥) بين التحولات والانحرافات بالمعنى الدقيق للكلمة وجدلية فرويد تؤدي إلى فصل أولي بين العصاب والانحرافات التي تتلخص في العبارة الشهيرة والإشكالية أن العصاب معكوس أو"نيجاتيف" الانحرافات وهذه الصيغة تسلط الضوء على أن القيام بذلك سيكون معناه قبول الاستنتاج الرهيب بأن توحده متخيل ووهمي وبالتالي أنه بطريقة ما يجب أن يتخلى عن كونه الموضوع الوحيد والأوحد لرغبة أمه، ومن خلال توجيه رغبته تجاه الآخر يقوم الطفل بتعبئة هذا الخيال الواقي الذي يرفض واقع الفرق الجنسي لصالح البناء على أساس متخيل لموضوع مفقود افتراضا وعلى فكرة الاختلاف الجنسي الذي يتحول إلى فكرة الاخصاء من عدمها وبسبب هذا المنطلق التخيلي يفسر فرويد أن المواجهة مع الإخصاء حتما سوف تثير القلق عند الطفل.(در،ت:خطاب، ٢٠١٥: ٤٢).

وفي نفس السياق فقد تحدث فرويد عن وجود النوازع الجنسية التي توصف بأنها غير منتظمة ونادرة الحدوث في الطفولة ووجودا ملفتا في تكراره، وكذلك الكشف عند العصابيين عن ذكريات الطفولة التي ظلت لاشعورية حتى الآن، يسمح بتصوير الأحداث الجنسية لمرحلة الطفولة والمشهد البدائي.(فرويد،ت:علي، ١٩٦٣: ٦٣)

وحسب جاك لاكانLacan فقد اعتبر اللغة عنصر وسيط يسمح للذات أن تحصل على اعتراف الآخر بوجودها كما أشارLacan إلى أن الوحدة الأساسية للغة هو الدال والمدلول وأن اللاشعور مثل اللغة ويمثل سلسلة من الدوال وهذا ما جعله يعتمد بالأساس على النظام الرمزي كما سماه، فلا يصل الطفل إلى الإحساس بالهوية الجنسية إلا بدخوله نظام اللغة الرمزي والإستدخال المتدرج للتفاعلات بينه و بين محيطه بكل

الشحنات الوجدانية والعاطفية التي تتضمنها ثم ينتقل إلى تحديد هويته وحدود الشخصية ،وقد يعيش صراعا حادا مع ما صنعه عالمه الخارجي من ممنوعات.

ونجد ديديه أنزيو (١٩٢٣-١٩٩٩)أنه لم يكن نمو الطفل من اهتمامات **انزيو** كما أنه لم يكن محللا نفسيا ولكنه اخترع مفهوما ضمن نظرية التحليل النفسي وهذا المفهوم فريد من نوعه وقد كانت له تطبيقات مهمة في العيادات النفسية وهو الأنا الجلدي **Lemoipeau** وهذا المفهوم لا يدل على مرحلة معينة من النمو بل له دور في نمو الطفل وتطوره النفسي واستجاباته في بعض المواقف والانا الجلدي عرفه أنزيو:" تصوير يستخدمه الطفل في المراحل المبكرة من نموه من أجل أن يمثل نفسه كأنا . (سليم ، ١٠٥:٢٠٠٢)

فحسبه الشرط الأساسي للإحساس بالهويةالجنسية هو الجسد الحامل الأساسي لها و حسب "" **Bergeret** فالاحساس بالهوية الجنسية في حد ذاته فيه إشكال لأنه لا يوجد صور للموضوع بالمعنى النفسي لهذا المصطلح علاوة على هذا فالوليد لا يدرك العالم الخارجي إلا إذا يمكن له التحدث ويقصد هنا الوعي فهو لا يميز نفسه عن الآخرين فهو يتعامل مع كائنات جزئية لا توجد في الفضاء والتي تشمل على سبيل المثال أجزاء من الأم (الثدي بالرضاعة أو الزجاجة) ويمكن أن تأخذ اتجاهين هما الإثارة الجنسية التي يمكن أن تكون في إطار النرجسية الأولية وغالبا ما تكون مصحوبة بالاستمناء وعلاقة تحررية من ناحية أخرى حيث من خلال هذا التعبير يجعل حالة ا لاعتماد المطلق التي تربط الطفل جسديا بالشخص الذي تبقيه تدخلاته على قيد الحياة . (J. Bergeret et autres, 2012 : 12)

- **أنواع الاضطرابات الجنسية لدى الأطفال:**

❖ **اضطراب الهوية الجنسية:**

تحدث هذه المشكلة عندما تظهر لدى الأطفال ميول جنسية تجعل المصاب يعتقد أنه من الجنس المعاكس فالذكر مثلا يولد بأعضاء تناسلية ذكرية كاملة لكنه يصنف نفسه مع الإناث ويتصرف كواحدة منهن ويتطلع إلى إنشاء علاقات مع الذكور باعتبارهم الجنس الآخر وكذلك الأمر بالنسبة للأنثى .

❖ **إشكالية التقمص والاستثمارات الأوديبية:**

يتم زوال الأوديب بتخلي الطفل تدريجيا عن الرغبات الليبيدية والعدوانية تجاه مواضيع الحب المستثمرة إذ تحل هذه العقدة باختفاء تصورات المحارم وكبتها فيتقمص الطفل الوالد من نفس الجنس ، وتجاوز الميولات الأوديبية يعد أمرا ضروريا للدخول في جنسية الراشد بينما التمسك اللاشعوري بها يعني وضع حجر الأساس للاضطرابات الجنسية التي يتعرض لها الفرد لاحقا.

فالصراع الأوديبي قد يأخذ مسارا ملتويا قد لاندرك معناه للوهلة الأولى بحيث المشاكل الأوديبية لها قدرة فائقة على التمحور والتفاقم (شرادي، ٢٠١١: ١٩٢)

ولقد ركز "**لاكان**"**Lacan** وبعد فرويد على دور الأب في تأسيس بنية الذات واهتمامه بصيغة اسم الأب كمجاز محوري يشير إلى انتقال السلطة من الأم إلى الأب، واعتبره دال يتوحد به الطفل ويصبح الحجر الأساسي لبنيته، ومن هنا يؤكد "**لاكان**" على دور الأب باعتباره عنصرا ثالثا في انقاد الطفل من الذهان وتهيئته للدخول في الوجود الاجتماعي، والأب بهذا ليس مجرد غريم للطفل ينافسه على حب الأم ولكن يمثل النظام الاجتماعي ولا تستطيع الذات أن تعبر إلى هذا النظام إلا إذا توحد بالأب خلال المركب الاوديبي.

إذن عقدة أوديب تحل عند إهمال استثمارات الموضوع واستبدالها بعملية التقمص وبفضل السياق التقمصي يصل الطفل إلى الإحساس بجنسه والانتماء له وبهذا تتحدد هويته الجنسية أنثوية كانت أو ذكورية.

❖ عقدة الخصاء والشعور بالذنب:

ونجد "**فرنسوازدولتو**FrancoiseDolto" (١٩٧١) في كتابها "التحليل النفسي وطب الأطفال "Psychanalyse et pédiatrie" فإنها تشاطر فرويد في هذه الفكرة هي أن الموت بالنسبة للطفل ليس الموت الذي نعرفه، إنه إحباط من العدوانية العاطفية وغياب الشخص المحبوب (الإخصاء العاطفي)حيث ترى أن قلق الموت يرافقه الشعور بالذنب الشديد المصحوب بالواقع، حيث يوقظ القلق الأساسي من الإخصاء والعجز الحقيقي ضد الكبار حيث في غياب الموضوع اليبيدي لا يمكن أن يأتي الاسترضاء النفسي فالخوف من الموت ليس هو القلق من الموت بعينه ولكنه قلق من الإخصاء. (Dolto ,1971 : 131-138)

إذن تهديد الخصاء يصيب الطفل بالارتباك فهو أمام موقفين إما الإبقاء على استثماره النرجسي لعضوه أو الحفاظ على تعلقه الشبقي بالأم وهذا ما يجعله أمام تناقضات وجدانية قد تسبب له مظاهر ومآزم نفسية شديدة لاحقا.

❖ الفضول الجنسي والتلصص عند الأطفال،

يعد الفضول الجنسي والاستكشاف الجنسي مظهرا من مظاهر النمو الجنسي الطبيعي شأنه شأن الصراع الأوديبي فالطفل عادة لا يستوعب تماما الحدود والجوانب الخلقية للسلوك الجنسي، وقد يؤدي حب الاستطلاع الجنسي بالأولاد والبنات إلى النظر للأجسام العارية للآخرين ولمسها وألعاب مثل (لعبة الأب والأم) وهي من الألعاب الشائعة ويتضمن السلوك الجنسي للأطفال مدى واسعا من الاستجابات تشمل الألفاظ والحركات الجنسية، والعرض الجنسي، وأعمال الجنسية المثلية ومحاولات الجنسية الغيرية.(شارلز،شيفر،٢٠١٧: ٥٢٦)

أما التلصص فيعرف بأنه ميل متكرر أو دائم إلى مشاهدة الآخرين وهم يمارسون سلوكا جنسيا أو خاصا مثل خلع الملابس، ويؤدي هذا عادة إلى إثارة جنسية وممارسة العادة السرية ويتم دون معرفة أووعي الشخص المراقب. (خطاب،٢٠٢٢: ٤)

١٣.٦اختبارخروف القدم السوداءTest La patte noire

وبالنسبة للاختبارات الاسقاطية للأطفال فهي تسمح لهم بالتكلم والتعبير عن مخاوفهم وقلقهم وحتى عن مشاعرهم الداخلية الواعية منها والغير واعية التي لا يستطيعون التعبير عنها وهناك العديد من الأطباء والمعالجين النفسانيين الذين اهتموا بتكوين شخصية الطفل وأمراضه النفسية وطبعا تربيته منهم: F. Dolto M. Klein ,Winnicott ومن بين الاختبارات الاسقاطية للأطفال التي اعتمدنا عليها في الدراسة الحالية اختبار رائز خروف القدم السوداء PNعلى يد عالم النفس الإكلينيكي لويس كورمان .

- **لمحة تاريخية عن هذا الاختبار :**

وضع هذا الاختبار الدكتور لويس كورمان (Corman، (وقد إستلهم رائزه من رائز بلومblum حول الكلب بلاكيBlacky . إن رائز بلوم يتضمن مجموعة لوحات عن كلب في عائلته، حيث أن كل لوحة تعبر عن مرحلة من المراحل المتعاقبة للنمو النفسي والجنسي لدى الطفل. يعود كورمان إلى اختبار تفهم الموضوع TAT لموراي (Murray)

ليحدد بداية الاهتمام بالمثيرات البصرية، ويشير إلى قدرتها على إسقاط للنزوات اللاواعية، إن اختبار القدم السوداء اختبار بصري تصويري يعتمد على مجموعة لوحات تدور كلها حول مغامرات خنزير له بقعة سوداء على رجله. يعترف كورمان أن اختيار الخنزير كبطل في اختباره يعود إلى محو الصدفة، فالأطفال يألفون بسهولة الخنزير، مما يسهل التماهي مع بطل هذه المغامرات. (R.Rousillon et all,.2007 :645)

تم تكييف هذا الاختبار في البلدان العربية وتحديدا في لبنان، إذ طبق على مجموعة أطفال مختلف المذاهب، حيث رفض معظمهم متابعة الاختبار ورفضوا أيضا التماهي بشخصيات اللوحة والسبب يعود إلى المكانة السلبية التي يحتلها الخنزير في الديانة الإسلامية وموقف الدين من هذا الحيوان، فقد حرم الدين الإسلامي أكل لحم الخنزير.لذلك لم يظهر الاختبار قيمته الاسقاطية لتلك التي حصل عليها كورمان عندما طبقه على عينة كبيرة من الأوروبيون، ولهذا السبب تم استبدال الخنزير بخروف فأصبح الاختبار لخروف القدم السوداء، وهذا لما لهذا الحيوان من مكانة محببة عند الأطفال.

- **التعريف بالاختبار**

اختبار إسقاطي قام بإعداده "Louis Corman" يستعمل للكشف عن جوانب الشخصية التي لا تعبر عنها مباشرة يتضمن ١٨ لوحة تمثل مغامرات مجموعة من الخرفان وخاصة البطل صاحب القدم السوداء ويستعمل هذا الاختبار مع الأطفال بين ٦-١٢ سنة وهو يسمح عن طريق التقمص بكشف انفعالات وعلاقات الطفل الواعية بالصور المتداخلة للوالدين، كما يكشف عن الجوانب اللاشعورية لشخصيته الميكانزمات الدفاعية العميقة للطفل والتي تكون مصدر بعض الاضطرابات .

- **الدلالات التشخيصية لرائز خروف القدم السوداءPN:**

إن ميدان استعمال هذا الاختبار واسع فهو قابل لاستعماله مع الأسوياء الذين يتميزون بمستوى جيد من التكيف الاجتماعي وكذلك مع الأشخاص الذين يعانون من المشكلات واضطرابات مختلفة فهو يقدم نتائج قيمة في الحالات التالية:

- **اضطرابات الطبع والتكيف** (الهروب، السرقة، الجنوح، التجاذب الجنسي)
- **الاضطرابات النفس جسدية** (الخلقة، التبول الليلي، التقيؤ العصبي، سلس الغائط، الإمساك العصبي)

- **حالات التخلف العقلي الموهم:** وتظهر عند الأطفال الذين هم بصدد الدخول في مرحلة المراهقة والذين يعانون من أحلام اليقظة المرضية مع شرود دائم حيث تبعدهم مشاكلهم العاطفية على العالم الواقعي وتظهر حالات التخلف العقلي الموهم هذه في الحالات النكوصية التي تسبب فتور وقصور النمو الحيوي وصد الحماس المدرسي وفي هذه الحالة تنحصر اهتمامات الشخص أمام صراعاته العاطفية فيتراجع مردوده ويتأخر دراسيا بالرغم من حصوله في اختبارات الذكاء على مستوى ذكاء جيد .
- **الاضطرابات العصابية:** هذا الاختبار فعال في دراسة قلق العصاب، حالات عصاب الشك، العصاب الهستيري، الخوف المرضي ودراسة الاكتئاب .
- **الاضطرابات الذهانية :** يفيد في دراسة الفصاميين بالتحديد وتسمح مضامينه بالكشف عن الأسباب المرضية الدفينة التي أدت بالفصامي إلى اضطراباته .

- **تقنية الاختبار:**

يبدأ الاختبار بأن نقدم للمفحوص اللوحات دون تسلسل محدد، ونقول له أن المطلوب منه بكل بساطة أن يتصور قصة عن كل لوحة. وقد أوصى كورمان بعدة إرشادات كأن يتوفر أمام المفحوص طاولتان، أحداهما كبيرة تنشر عليها كل اللوحات، والطاولة الثانية في متناول نظر الطفل أيضا نمد عليها فيما بعد اللوحات التي رفض المفحوص التحدث عنها. يتم تهيئة الطفل للاختبار بأن نضعه في أجواء من الثقة والألفة، وعلى الفاحص أن يتحلى بالحياد بحيث لا يؤثر على المفحوص ولا يوحي له بأية إجابة، ويقوم بتدوين الإجابات كما هي، وكذلك يكون التحدث إلى المفحوص بهدوء ودفء وعدم إظهار أية دهشة أو استغراب إذا أعطى المفحوص أجوبة غريبة، مع التأكد على أن أجوبة هذا الاختبار كلها جيدة، وأنه لا توجد إجابات سيئة وإجابات جيدة كما هو الحال في المدرسة فالإجابات كلها جيدة. التقيد بهذه الإرشادات سيساعد المفحوص على سرد المحتوى الكامن للوحات وفي اختيار تقمصاته وتوحده بالشخصيات، وبالتالي فان عدم تهيئة الطفل جيدا لأجواء الاختبار قد يؤدي إلى تعطيل تطبيقه في أحسن الأحوال، وإلى حذر المفحوص، وبالتالي يرفض التماهي بأي من شخصيات اللوحات.

- **كيفية تطبيق الاختبار:**

قبل الشروع في تطبيق اختبار القدم السوداء قمنا أولا بتطبيق المقابلة نصف الموجهة وذلك قصد جمع معلومات التي تخص موضوع البحث، وبعد إجراء المقابلة مع الحالات قمنا بإخبارهم بأن في المرة القادمة سوف يتم إجراء اختبار على شكل قصة نرويها معا، وذلك قصد تشويقهم، ويتم تطبيق الاختبار بإتباع الخطوات التالية:

- تعطى اللوحة التمهيدية للطفل وهي تمثل شخصيات الخروفان الكبيران هما الأبوين على الجهة اليسرى وثلاث خراف صغيرة في الجهة اليمنى تتمثل في البطل "القدم السوداء "ويمكن تمييزه عن الخروفين الآخرين الأبيضين وذلك بوجود لطخة سوداء على قدمه وعلى الطفل إعطاء عمر وجنس هذه الخرفان دون أن نوحي له بأنها تشكل عائلة.
- تقدم للطفل جميع اللوحات ما عدا اللوحة التمهيدية ولوحة الساحرة ويطلب منه اختيار البطاقات وترتيبها إلى المحببة لديه والغير محببة ثم نطلب منه أن يروي لنا قصة عن كل بطاقة.-تؤخذ الصور المحببة أولا ويسأل عن أحب هذه الصور إليه مع ذكر السبب ثم نسأل عمن هو الفرد الذي يتقمصه في القصة وهكذا يقوم بترتيب اللوحات من الأحب إلى آخر صورة محببة دائما مع ذكر السبب والتقمص .
- تؤخذ اللوحات الغير محببة ويقوم بنفس العملية حتى ينتهي إلى آخر صورة مكروهة لديه .

-تعطى بعض الأسئلة العامة للطفل لمعرفة:

-من هو الأكثر سعادة في القصة ولماذا؟

-من هو الأقل سعادة في القصة ولماذا؟

-من هو الأكثر لطفا في القصة ولماذا؟

-من هو الأقل لطفا ولماذا؟

-يسأل عن نهاية القصة ومصير أبطالها

-وفي الأخير تقدم صورة الساحرة ونطلب من الطفل أن يتمنى ثلاث أمنيات يطلبها خروف القدم السوداء من الساحرة التي تحمل عصا سحرية وتستطيع تحقيق تلك الأمنيات

- **تحليل الاختبار:**

يعتمد التحليل على الإلمام بقواعد التحليل النفسي (مراحل النمو النفسجنسي)، علم النفس المرضي والاتسام بروح التحليل والربط بين المضامين وكشف الصراعات اللاشعورية وفق مرحلتين:

- **التحليل الخطي للبطاقات:** يقوم الفاحص هنا بتحليل كل بطاقة على حدى من خلال مضمونها وكشف الصراعات والمعاش النفسي للطفل فيها
- **التحليل الدينامي:** ونقصد هنا تسلسل البطاقات وفق اختيار الطفل ومحاولة ربط منطق هذا التسلسل لمعرفة سيرورة النمو والإشكاليات النفسية لديه

لكن قبل التطرق إلى كيفية تحليل الاختبار يجب أن ننوه بأن Corman قد بين البطاقات المحبوبة وغير المحبوبة لدى الأطفال (العاديين) من خلال تطبيقه على عينة من الأطفال كذلك استخرج المتن الأمين (الإجابة الشائعة) لكل بطاقة مع إعطائه عنوان لكل بطاقة والذي تقابله رمزية لمرحلة من مراحل النمو وخصوصيتها

لذلك سنقوم بعرض كل بطاقة ومحتواها والمتن الأمين فيها:

- **عرض اللوحات ومحتواها الظاهري والكامن:**

البطاقة ١٠: المعلف **Auge**الفكرة الجوهرية هي العدوانية التحليلية uteral

المتن الأمين: خلال قيلولة والديه وإخوته يتبول خروف القدم السوداء علانية في المعلف الكبير.

البطاقة ٢٠: الحمل **Portée**هذه البطاقة تشير إلى الولادة والتنافس الأخوي والطرد

المتن الأمين: الخروف الأم وضعت ثلاثة مواليد وهي ترضع، بينما هي تعلق محتوى المعلف ويحيطها مزارعان بعنايتهما. في المستوى الأول نرى ثلاثة خرفان صغيرة وقد فصلت عن أمها بواسطة حاجز وهي تنظر باستغراب، يمكن أن نتعرف على خروف القدم السوداء

البطاقة ٠٣: الرحيل **Départ**تركزعلى فكرة الرحيل

المتن الأمين: على طريق معزولة تؤدي إلى الجبل، يسير خروف هويته غيرواضحة بما أننا من الخلف فنحن لا نستطيع رؤية تعابيروجهه.

البطاقة ٠٤ :التردد**Hésitation** توحي بالتناقض الوجداني، التنافس الأخوي، الطرد والاستبعاد

المتن الأمين: ترضع الأم أحد الخروفان الأبيضان، بينما يشرب الأب من الملعب مع الأخير، ولا يعبر أيا منهم الاهتمام لخروف القدم السوداء الذي يقف إلى الوراء يجد نفسه وحيدا في موقف محير جسده موجه نحوالأم ورأسه في اتجاه الأب.

البطاقة ٠٥: المعركة **Bataille**تركزعلى السادية الفمية في ظل التنافس الأخوي

المتن الأمين: خروف القدم السوداء وخروف أبيض صغير يتناهشان بشراسة، الخروف الأبيض الصغيرالآخر يذهب في اتجاه الوالدين الذين يصلان

البطاقة ٠٦ :العربة**Charette**تشير إلى السادية مع قلب العقاب نحوالذات بشكل عام

المتن الأمين: خروف القدم السوداء يحلم بأن رجلا وضع في عربة خروفان صغيران وهو يدفع إلى العربة، أحد الخروفان يقاوم ويصرخ. الوالدان ينظران وقد التحق بهما خروفان صغيران

البطاقة٠٧: الألعاب القذرة**Jeuxsalles**تركزعلى السادية الشرجية

المتن الأمين: بالقرب من كومة الفضلات خروفان يلهوان فرحين في ماء المزابل أحدهما يقذف بالماء في وجه أبيه، الخروف الصغير الثالث في الخارج ينظر، لا يعرف من هو خروف القدم السوداء من بين هذه الخرفان الثلاث .

البطاقة ٠٨: الليل **Lanuit**تركزعلى الأوديب والنظار خصوصا على غرفة الوالدين

المتن الأمين: زريبة ينيرها القمر في الليل وهي مقسمة إلى جزئين بواسطة فاصل من الألواح من جهة نرى خروفين كبيرين أحدهما مقابل الآخر. في الجهة الأخرى نرى خروفين صغيرين نائمين وثالثا واقفا أمام الفاصل ينظر إلى الخروفين الكبيرين.

البطاقة٠٩: الحفرة **Trou**تركزعلى العزلة الطرد والعقاب.

المتن الأمين: في الليل وعلى ضوء القمر نرى خروف القدم السوداء يغوص نصفيا في حفرة ماء وهو ينادي

البطاقة ١٠: القبلة **Baiser**تشير إلى الموضوع الاوديبي

المتن الأمين: الأم والأب يتبادلان القبلات خاف الحائط، خروف صغير هويته غير واضحة

البطاقة١١: حلم أم**Rêve Mère**تبين فكرة مثالية الأنا وحب الموضوع

المتن الأمين: خروف القدم السوداء النائم يرى في الحلم أمه تبتسم

البطاقة١٢: حلم أب**Rêvepère** تبين فكرة مثالية الأنا وحب الموضوع وذلك وفق الجنسين

المتن الأمين: خروف القدم السوداء النائم يرى في الحلم أباه ينظر إليه.

البطاقة ١٣: الإوزة **Jars** تشير إلى الخصاء والسادية مع قلب العقاب نحو الذات

المتن الأمين: وزة كبيرة مهددة باسطة الأجنحة، تلتقط خروفا صغيرا بذيله لا يعرف من هو هذا الخروف أهو خروف القدم السوداء أو الأبيض، يحاول الخروف الهروب وهو يبكي بالقرب منه خروف صغير يراقب المشهد وهو شبه مختبئ خلف الحائط.

البطاقة١٤:رضاعة١ **Tétée**توحي بالعلاقة الفمية

المتن الأمين: خروف القدم السوداء يرضع أمه في مكان معزول

البطاقة١٥: رضاعة٢ **Tétée** توحي بالعلاقة الفمية وكذا العلاقة الأولى مع الأم

المتن الأمين: خروف القدم السوداء يرضع من أمه، خروفان أبيضان صغيران يصلان وهما يركضان.

البطاقة ١٦: الأتان **Anesse**أو الأم المثالية تمثل الأم المتبنية أو الأم البديلة

المتن الأمين: خروف القدم السوداء يرضع من الأتان التي تنظر إليه هذا المتن فمي ولكن الأصل المختلف للمرضعة يمنح المفحوص الفرصة للحديث عن أم بديلة أو عن أم متبنية أو سرد كل ما يد ورفي خياله من هواجسه حول الإحباط أو الهجر الأم لطفلها والتقائه بالأتان.

البطاقة ١٧: السلم القصير**Courte échelle**ترمز إلى العلاقة الإيجابية أو السلبية التي تربط الأب بالابن.

المتن الأمين: خروف كبير يساعد خروف القدم السوداء للصعود إلى الشجرة

البطاقة ١٨: الساحرة **Fée**

تعبر هذه اللوحة عن تمنيات الطفل وعن الرغبات التي يود تحقيقها لنفسه، فهذه اللوحة يتم تقديمها في آخر الاختبار.

- **تصنيف البطاقات وفق مراحل النمو النفسجنسي:**

- **المواضيع الفمية:**رضاعة١،رضاعة٢،الحمل والأتان

- **المواضيع الشرجية:**-القبلة –التردد الوزة –الليل –حلم أم –حلم أب

- **المواضيع الأوديبية(العدوانية)عدوانية تجاه الإخوة:** رضاعة ١-رضاعة ٢ -المعركة - الوزة –العربة -الحمل أو من خلال صور مضافة إما موجودة أو من الخيال **عدوانية تجاه الوالدين:** الألعاب القذرة –المعلف –الأتان أو اللوحة التمهيدية

- **مواضيع الشعور بالذنب** :العربة –الوزة – الحفرة – المواضيع حول اللطخة السوداء (من خلال صورة الجسد)(باسمة المنلا،١٩٩٥)

- **القيمة الاسقاطية لرائز خروف القدم السوداءPN :**

تم اختيار رائز خروف القدم السوداء في هذه الدراسة، لأنه من ضمن الاختبارات الاسقاطية التي وضعت لدراسة الأطفال دراسة معمقة، فهو لا يهتم فقط بدراسة البنية النفسية للطفل مع البيئة والمحيط فانه يوضح لنا ديناميكية علاقة الطفل بالأسرة ومن بين الأسباب العامة التي جعلتنا نختار هذا الاختبار هي:

- الأكثر تقبلا والأكثر استعمالا عند الأطفال خاصة أن الأطفال يتجاوبون بسرعة مع الحيوانات الموجودة في القصة.
- الاختبار يمثل الجانب الكبير من الحياة الانفعالية والعلائقية.

كما يعتبر الاختبار قاعدة للتفضيلات والتقمصات والتي تبين:

- تقمص الطفل الشخصيات التي هي مركز حكايته شعوريا وهذا ما يسميه كورمان الميول ويظهر من خلال التقمصات التي يضفيها على عناصر القصة.
- إبراز الميول العميقة التي تكون عادة مكبوتة فتزودنا بمعرفة شخصية المفحوص لدراسة صورة عنه.
- إظهار دوافع لها أثر في الاختبارات الاسقاطية الأخرى ففي قاعدة تفضيلات تقمصات تظهر الميول الجنسية وميكانزمات الدفاع المستعملة مثل تقمص الدفاع الذي يتعارض مع تقمص الميل. (الشرتوني، ٢٠٢١: ٢٨)

- **مؤشرات الاضطرابات الجنسية في بعض لوحات الاختبار:**

-اللوحة التمهيدية (إشكالية التقمص واضطراب الهوية الجنسية):

تكشف عن اضطراب الهوية الجنسية حسب كورمان وذلك من خلال إعطائه جنس مخالف عكس جنسه والتقمص ل PN كبديل يستخدمه لإشباع نزواته من الجنس الآخر، وكذلك عدم الإدراك الجيد للحدود وعدم الخضوع لمبدأ الواقع .وقد تبدو كذلك بعض من إشكاليات في الهوية الجنسية بحيث يتجلى ذلك من خلال عدم استقرار استجابات المفحوص في تحديد هوية الخروف الأم والخروف الأب وكذلك من خلال الأسئلة التوليفية .

حيث يسمح التقمص بامتلاك ميزات الآخرين والحفاظ على وحدة الأنا فالهوية تتكون من خلال مجموع التقمصات والأدوار والقيم ومن هنا تبنى شخصية الفرد وتتبلور هويته الجنسية.

فالطابع الجنسي لدى الفرد يتحدد من ثلاث مظاهر أساسية مميزة في الهوية الجنسية :التوجه نحو الآخر والتفضيل الجنسي انطلاقا من الرغبة والانجذاب نحو شخص من الجنس الآخر ، أو من نفس الجنس ، ثم الممارسة الجنسية ، هذه المظاهر الثلاث تتطور مع الوقت وتتخذ حالتها النهائية في مرحلة الرشد.

(اسماعيلي، محند،٢٠١٦: ٢٧)

-اللوحات ذات الطابع الأوديبي:

تبرز من خلال إضفاء الإثارة الجنسية على العلاقات وإعطاء أهمية للموضوع الجنسي وهذا ما يعبر عن إشكالات في الهوية الجنسية ونستدل باللجوء إلى العاطفة من خلال تعبيرات مليئة بالوجدان كما تتجلى من خلال استخدام المفحوص لميكانزم التناقض الوجداني بحيث تكون المواضيع غير مستقرة الهوية ودون اختيار واضح لمشاعر الحب والكراهية في اللوحات مرة سرد خروف القدم السوداء على أنه من جنسه وفي حين آخر الإشارة على أنه من جنس مخالف وتقمص الوالد من الجنس المخالف وما يميز البروتوكول هو تناول الإشكالية الأوديبية بين تناقضات في العلاقة مع الموضوع المحبوب بين اللامسؤولية إلى التعاون والتفاعلات السيئة ضمن طابع وجداني مآله الشعور بالنبذ والعقاب .

كما تغلب التقمصات صعبة الاستقرار ولا سيما التقمصات الجنسية نجدها عند الإناث عادة حيث تتخذ تقمصات ذكورية مما يدل حسب جاك لاكان على عدم التنازل على بعد القضيب الرمزي الذي كان محل التناول العدائي تجاه الشخصيات الذكورية خاصة في البطاقات ذات الطابع الأبوي حيث أحيانا يظهر كأب مساند وأحيانا يظهر كموضوع عدواني صريح في الاختبار .كما تكمن الاستجابات ذات الطابع الأوديبي من خلال اللوحات المرفوضة ويكون سبب الرفض عادة حسب كورمان إلى المواضيع الصريحة التي توحي بها والتي تكون أغلبها ذات مضامين أوديبية أين يكون الصراع الوديبي الذي لا يستطيع المفحوص تجاوزه في ظل غياب الوالد من نفس الجنس أو البديل وهذا ما قد يجعله يعيش الأوديب بشكل رمزي ، والآن سنعرض اللوحات التي تكشف عن ذلك:

- **لوحة السلم القصير:**تبعث على السند الأبوي وتشير إلى علاقة سندية ضمن ثنائية أب –طفل أو أم –طفل كنوع من تصحيح علاقة بين طرفين وذلك من خلال التقمص الناجح.

- **لوحة حلم الأم:**أمام اللقاء الثنائي مع صورة الأم حيث تركز على مثالية الأم التي تمنح السعادة من خلال الابتسامة كنوع من التفاعل الجيد مع الأم

- **لوحة حلم الأب:**تكمن الإشكالية ضمن التفاعل (سيئ أو ايجابي) في ثنائية العلاقة أب –طفل وإشكالية الأوديب في ظل سلطة الأنا الأعلى وسيطرة المضمون الأوديبي .

فمن خلال عقدة الأوديب يكون الطفل منخرطا في مثلث عاطفي لأول مرة أين تصطدم رغبته بأحد الوالدين المختلف عنه جنسيا مع رغبته في إزالة الوالد من نفس الجنس ويحدد الشكل الذي تنحل به عقدة أوديب فيما بعد نوعية الحياة النفسية بين السواء والاضطراب فمن خلال السياق التقمصي يستطيع الطفل من الإحساس بجنسه وتحديد هويته الجنسية غير أن الحل غير السوي لعقدة الأوديب قد يكون النواة الأولى للانحرافات الجنسية لاحقا.(اسماعيلي،محند ،٢٠١٦: ٢٩)

- **اللوحات التي تكشف عن الفضول الجنسي أو التلصص :**

- **بطاقة القبلة:** تكمن الإشكالية ضمن مشهد حميمي رومانسي بين الزوجين من خلال الفضول الجنسي المكبوت مع الشعور بالذنب خاصة في حالات غياب موضوع الحب الأولي في المرحلة الأوديبية وهوام استراق النظر للمشهد البدائي .

- **لوحة الليل** :تبرز الإشكالية في هذه اللوحة من خلال التلصص على غرفة الوالدين حيث يعد الفضول الجنسي والاستكشاف الجنسي مظهرا من مظاهر النمو الجنسي الطبيعي شأنه شأن الصراع الأوديبي فالطفل عادة لا يستوعب تماما الحدود والجوانب الخلقية للسلوك الجنسي (شارلز،شيفر،٢٠١٧: ٥٢٦)

كما تشير إلى المشهد الأولي وتثير هوامات ترتبط بالمرحلة الأوديبية وخاصة العلاقة الليلية بين الوالدين تظهر خاصة في المضامين الصريحة حيث يعبر عنها المفحوص بالهوامات الأوديبية.

وقد ذكر فرويد حالة رجل اعتاد وهو صغير أن يشاهد أمه حين كانت تخلع ملابسها ولم تكن الأم تتحرج من ذلك أمام إبنها لشدة تعلقها به ، وقد أعتادا ذلك فكان ذلك سببا في تقوية النزعة الطبيعية عند هذا الطفل لاختلاس النظر والمشاهدة حتى أصبح فيما بعد من المتلصصين جنسيا ومن مدمني المشاهدة. (خطاب،٢٠٢٢: ٥)

- **لوحة الاوزة التي تكشف عن قلق الخصاء:**

من خلال لوحة الإوزة نكشف عن العقاب الإخصائي الدرامي فالطفل يجد نفسه أمام تهديد الخصاء فحسب فرويد فإن عقدة الخصاء هي جزء من النظرية الجنسية الطفلية التي تعتقد أن العالم مكون من جنس واحد يمتلك القضيب عندها يأخذ هذا العضو اهتمامه ويجعل منه موضوعا شبقيا ولا يمكن أن يتصور أن هناك جنس آخر ينقصه هذا العضو فيعيش قلق فقدانه.(نفس المرجع، ٢٨)

كماأشارBergeret. J (٢٠١٢)إلى أن قلق الخصاء هو التعبير المقبول للإشارة إلى رد الفعل العاطفي الذي يتبع الاتصال بغياب القضيب لدى الفتاة مما يؤدي إلى خوف الصبي من فقدانه والفتاة الرغبة للحصول عليه .

فحسب S.Victo (1968) فقلق الخصاء يساعد الطفل على تجاوز مرحلة الأوديب والدخول في علاقات أخرى بعيدا عن المحارم إذ يحدد نوعية وطبيعة علاقات الطفل

أما الفتاة فيعتبر قلق الخصاء منبعا لرغباتها الأوديبية فالصحة الأنثوية تتوقف على البنت بأمها، أي تقمصاتها الأولية قبل الأوديبية باعتبار أن الأم أول موضوع حب لها ، إضافة إلى تقمصاتها الثانوية أي الصراعات الأوديبية وطريقة حلها لتلك الصراعات.(منصوري،٢٠٠٢: ٢١).

٧.خاتمة

من خلال هذه الورقة البحثية جاء الحرص الشديد على إظهار إمكانية فحص واقع الاضطرابات الجنسية لدى الطفل من خلال المؤشرات العيادية الاسقاطية واستمدت هذه المؤشرات الإجرائية من خلال ما جاءت به المدرسة السكوديناميةوالتي يمكنها تمثيل سند مرجعي في التقارب الاسقاطي للتوظيف النفسي من خلال رائز خروف القدم السوداء حيث يقترح هذا الاختبار من خلال بعض لوحاته مضامين أوديبية ومشاهد علائقية وسياقات تقمصيه التي تسجل نفسها في معظم السياقات الصراعية حيث يبني الطفل هويته الجنسية من خلال السياق التقمصي ويتمكن من الإحساس بجنسه غير أن فشل هذا العمل في ارصان العلاقة الثلاثية وعدم التخلي عن العلاقة الثنائية الجنسية وكذلك التخلي عن الطابع الجنسي لمواضيع الحب الأولي لينتقل لموضوع حب خارجي جديد والحل غير السوي لتجاوز الموقف الأوديبي يؤدي إلى اختلال في الإحساس بالهوية الجنسية لدى الفرد وما ينتج عنه من اضطرابات وانحرافات جنسية في سن الرشد، فالشخص السوي الذي تقمص بشكل إيجابي الصور الوالدية في طفولته فإنه لن يسلك سلوكات منحرفة لاحقا بل تكون لديه علاقات تفاعلية ايجابية مع محيطه، فعقدة أوديب من أكبر منظم للتوظيف النفسي، وطريقة حلها لها أهمية كبيرة في مرحلة البلوغ حيث يعاد إحياء الصراعات السابقة.

ولهذا جاءت الضرورة الملحة لإبراز دور اختبار خروف القدم السوداء من خلال بعض لوحاته في قيمته التشخيصية للاضطرابات الجنسية لدى الطفل ولعل ما يميز هذا الاختبار الاسقاطي هو المرونة وإمكانية استخدامه في مواقف متعددة، ويمكن إجراء نفس الاختبار على أفراد من مجتمعات مختلفة ومقارنة النتائج واستخلاص

الدلالات منها،ومنه يتبين لنا انطلاقا من كل ما سبق إمكانية الفحص للتوظيف النفسي اعتمادا على مفاهيم تحليلية نفسية في تفسير واقع الاضطرابات الجنسية لدى الطفل في ظل افتقار هذا الأخير للغة التي تسمح له بالتنفيس والتعبير عن معاناته النفسية التي قد تعجز الأدوات الأخرى في الكشف عنها وذلك من خلال رائز خروف القدم السوداء، .وعلى الرغم من عدم وجود دراسات سابقة تؤيد أو تعارض ما توصلت إليها الباحثتان والمتعلقة بموضوع الدراسة وهو دور رائز خروف القدم السوداء في الكشف عن واقع الاضطرابات الجنسية لدى الطفل وتحقيق أهداف الدراسة،ونتيجة لندرة الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع في حدود إطلاعهما نظرا لخصوصية هذا الموضوع في البيئة العربية ولاسيما المحلية منها إلا أن هذه النتيجة يمكن تفسيرها في ضوء ما جاءت به المدرسة السيكودينامية والتي لها الفضل في أنها الأولى التي جاءت بمصطلحي الجنس والإسقاط وقيمة الاختيار الاسقاطي الذي من خلاله نستطيع الولوج إلى عالم الطفل الداخلي وخاصة المشاكل الجنسية منها.

فاللوحات التي تم الاعتماد عليها في هذه الدراسة تعتبر أداة تسمح بالتماس تصور التوظيف النفسي للطفل الذي يسجل نفسه ضمن السيرورات الصراعية لأن المحور الموضوعي يخص نوع وجودة التقمصات وار صان العلاقة مع المواضيع الأولية بالنسبة له وطريقة استدخال التجربة الخارجية كتصور عقلي.

٨. التوصيات:

ومن أجل تفعيل دور الاختبارات الاسقاطية في العملية التشخيصية لتكون الأداة القوية إلى جانب الأدوات الأخرى فضرورة:

- ✓ استحداث مخابر للقياس والتقويم في البيئة المحلية يهتم بالاختبارات النفسية المخصصة لفئة الأطفال للكشف عن مشاكلهم المختلفة ولاسيما المشاكل الجنسية.
- ✓ إن هذا الطرح قد يجلب شغفا للباحثين والسيكولوجيين العياديين على أمل أن يساعدهم في إنقاذ عدد كبير من الأطفال في تخطي الصعاب والمشاكل التي تعتري حياتهم وذلك من خلال التشخيص الجيد، الذي بدوره يساعد على وضع سبل علاجية ناجحة، مما يسمح بوصول الطفل إلى حالة التوازن والأمن النفسي.

- ✓ بالرغم من نجاعة الاختبارات الاسقاطية بما فيهم اختبار رائز خروف القدم السوداء إلا أنه لا يمكن الاكتفاء بها وحدها، لذلك يمكن الاستعانة بتقنيات أخرى كالاختبارات الموضوعية والملاحظة والمقابلة العيادية وإجراء تقييم طبي ونفسي للطفل للوصول إلى التشخيص المتكامل لتسمح بوضع بروتوكول علاجي مناسب .
- ✓ مساهمة من خلال نتائج هذه الدراسة في تذكير الأخصائيين النفسانيين من جهة وإعلام طلبة علم النفس العيادي من جهة أخرى بإمكانية الكشف عن الاضطرابات الجنسية لدى الأطفال بمساءلة مؤشرات عيادية لبروتوكول الاختبار وتبني نظرية التحليل النفسي دون غيرها من النظريات.
- ✓ يمكن إجراء نفس الدراسة وتطبيقها على حالات عيادية في الميدان من أجل الوصول إلى حقائق علمية ملموسة وكذلك التشخيص الجيد والفعال.

٩.قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

- أنطوان موريس الشرتوني (٢٠٢١) :**إختبار خروف القدم السوداء، الطريقة التقليدية والطريقة التحليلية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، الإمارات.
- اسماعيلي يامنة،سمير محند ،(٢٠١٦):**اضطراب الهوية الجنسية في ضوء ديناميات المراهقة** ،(مجلة معارف) ،العدد٢١، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر.
- آية بسملة (٢٠١٣): قلق الانفصال وقلق فقدان الموضوع في ظل نظريات التحليل النفسي،الرياض.Fashion.Azyya.com /401263htm
- باسمة المنلا (١٩٩٥): **رائز خروف القدم السوداء، دراسة في سيكولوجية الطفل المحروم من الحب**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- جويل درت:محمد أحمد خطاب، مروة فتحي سلامة (٢٠١٥): **المنهج الإكلينيكي عند لاكان**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

_ دليلة منصوري (٢٠٠٢): **نوعية التقمصات لدى النساء الحوامل**، رسالة ماجستير في علم النفس العيادي، جامعة الجزائر.

_ سيغموند فرويد، ت:سامي محمود علي (١٩٦٣):**ثلاث مقالات في نظرية الجنس**، دار المعارف، القاهرة.

_ شارلز أي،شيفر،ت، حمدي نزيه،نسيمة داود، (٢٠٠٧) :**مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها، دار الفكر ناشرون وموزعون، الأردن.**

_ محمد أحمد محمود خطاب (٢٠٢٢):**ديناميات التلصص الجنسي لدى الذكور**،دراسة حالة، مجلة الإرشاد النفسي، العدد ٦٩، ج١،يناير٢٠٢٢.

_ مريم سليم (٢٠٠٢): **علم نفس النمو**، دار النهضة العربية، بيروت.

_ محمد حسن غانم(٢٠٠٨): **الاضطرابات الجنسية (تعريف بالانحرافات،التشخيص، الأسباب، الوقاية، العلاج)**، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة.

المراجع الأجنبية:

_ Didier Anzieu .(1973) :**Les méthodes projectives**.Presses Universitaires de France.

_ Francoise Dolto(1971) : **Psychanalyse et pédiatrie, Les grandes notions de lapsychanalyses Seizeobservationsd'enfants**, Editions du Sueil27r,jacob. Paris6.

_ R.Roussillon et all (2007): **Manuel de psychologie et de psychopathologieclinique générale** ,Elsevier-Masson S.A .S Tous droits réservés ,ISBN-978-2-294-04956-9Paris.

-Jean.Bergeret et all(202).**Psychologie pathologique théorique et clinique.**Elsevier Masson S.A.S.France.

Andrew M.Pomerantz .(2019) :**Clinical Psychology**.Edition :5